

﴿ الباب السادس عشر ﴾

(في وجوب الصبر على المصيبة)

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استمعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) وقال تعالى : (وانبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) والآيات التي فيها الأمر بالصبر كثيرة جداً معروفة . قال الامام أحمد : ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في القرآن في آيتين موضعاً . اعلم أن حقيقة الصبر عند أرباب التصوف خلق فاضل من أخلاق النفس يمنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها . قال سعيد بن جبير : الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه الا الصبر . وقد تقدم حديث أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وارسال بنت رسول الله ﷺ الى رسول الله ﷺ أن ابني قد احتضر فاشهد ، فارسل يقرى السلام . ويقول : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر واتحسب » الحديث . أمرها بالصبر . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه . قال : مر النبي ﷺ بأمرأة تبكي عند قبر . فقال : اتق الله واصبري . فقالت : إليك عنى فانك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه . فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأنت باب النبي ﷺ فلم نجد عنده بوابين . فقالت : لم أعرفك . فقال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » رواه البخارى ومسلم . وفي رواية تبكى على صبي لها . فقال : « إنما الصبر عند أول صدمة » وهذا يشبه قوله عليه الصلاة والسلام : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » فان مفاجأة المصيبة بغتة لها روعة

تزعزع القلب وتزعجه بصدمها ، فان صبر للصدمة الأولى انكسرت حديثها ؛
وضعت قوتها ، فهان عليه استدامة الصبر كذلك الغضب . وعن أبي هريرة رضى
الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل ما لعبدى المؤمن عندى
جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة » رواه البخارى *
وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون ، فأنبرها :
« أنه كان عذاباً بمعنه الله تعالى على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين ، فليس من
عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله
له الا كان له مثل أجر الشهيد » رواه البخارى ورواه الامام أحمد من حديث
عائشة أيضاً بلفظه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الصبر على المصائب واجب
باتفاق أئمة الدين ، وإنما اختلفوا في وجوب الرضا . انتهى كلامه . فالصبر واجب من
حيث الجملة ، ولكنه يتأكد بحسب الاوقات . فهو في زمن الطاعون آكد منه
في غيره ، فانه اذا صبر على الإقامة في البلد الذى وقع فيه الطاعون ، وصبر عند
موت أولاده أو أقاربه أو أصحابه وصبر أيضاً عند مصيبتة بنفسه ، وعلم يقيناً أن
الآجال لا تقديم فيها ولا تأخير ، وأن الله تعالى كتب الآجال في بطون الامهات
كما ثبت في الصحاح ، كتب رزقه وأجله وشقى هو أو سعيد فلا زيادة ولا نقص
الا في صلة الارحام ففيها خلاف معروف بين أهل العلم ، فاذا صبر واحتسب لم يكن
له ثواب دون الجنة ، واذا جزع ولم يصبر أثم وأثمب نفسه ولم يرد من قضاء الله
شيئاً ، ولقد ضمن الوافى الصادق الناطق في محكم كتابه حيث قال عن الصابرين :
(انهم يوفون أجرهم بغير حساب) وأخبر انه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتح
المبين . فقال تعالى : (واصبر والله مع الصابرين) فذهب الصابرون بهذه المعية
التي هي خير الدنيا والآخرة وشارك بعض الأنبياء في قوله (إننى معكم أسمع
وأرى) وأخبر تعالى أن الصبر خير لأهله خبيراً مؤكداً . فقال تعالى : (ولئن

صبرتم هو خير للصابرين) وأخبر أن الصبر مع التقوى لا يضر كيد الأعداء أبداً .
 فقال : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط)

﴿ الباب السابع عشر ﴾

(فيما ورد في الصبر على المصيبة)

قال الله تعالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى : (ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) وقال تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) وهذا باب منسج جداً في الآيات والاحاديث ، وإنما نذكر منه ما بوقف السامعي وينبه الغافل . وقد تقدم حديث أم سلمة من غير وجه من رواية الإمام أحمد ومسلم وغيرهما وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « الطهور شرط الأيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض والصلوة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقراءة حجة لك أو عليك » الحديث رواه مسلم ورواه أبو داود من طريق أخرى بلفظ غريب أن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتى فأجرني بها وأبداني خيراً منها فلما احتضر أبو سلمة قال : اللهم اخلفني في أهلي خيراً مني . فلما قبض . قالت أم سلمة : إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله احتسبت مصيبتى فأجرني فيها * فانظر رحمك الله إلى ما آلت إليه حين احتسبت وصبرت ورضيت وركنيت واتبعت السنة وقد تقدم نحو ذلك * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فاعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال لهم حين أنفق كل